شرح دعاء السمات

ويليه شرح حديث القدر

الحكيم الإلهي

السيد كاظم الحسيني الرشتي (قدس سره)

تحقيق وتعليق

راضي ناصر السلمان

شرح
حديث القدر

الحكيم الإلهي
السيد كاظم الحسيني الرشتي "قدس سره"

تحقيق وتعليق
راضي ناصر السلمان

شَرْحُ حَدِيْثِ القَدَرِ

نَصُّ حَدِيْثِ القَدَر

في بَيان الحديث الشَّريف المروي عَن مَولانا أمير المؤمنين عليه السلام [1]:

«إنَّ القَــدَرَ سرٌّ مِنْ سرِّ اللهِ، وَسِتْرٌ مِنْ سِتْرِ اللهِ، وَحِرْزٌ مِنْ حِرْزِ اللهِ، وَأَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ، [مَرْفُوْعٌ فِي حِجَابِ اللهِ، مَطْوِيٌّ عَنْ خَلْقِ اللهِ]، مَخْــتُوْمٌ بِخَــاتَمِ اللهِ، [سَابِقٌ فِي عِلْمِ اللهِ]، مَوْضُوْعٌ عَنِ العِبَادِ عِلْمُهُ، دَفَعَــهُ[2] اللهُ فَــوْقَ شَهَادَاتِــهِم، وَمَبْلَغ عُقُوْلِــهِم؛ لِأَنَّهُــم لَا يَنَالُوْنَ

---

[1] رَوى الشَّيخ الصَّدوق هذا الحديث في كتابه (التَّوحيد) بالإسناد التَّالي؛ قال (قُدِّس سرُّه): (حَدَّثنا محمَّد بن مُوسَى بن المتوكِّل "رَحمهُ الله"، قَال حَدَّثنا علي بن الحسَــين السَّعدآبادي، قَال حَدَّثنا أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عَن أبيه، عَن محمَّد بن سنان، عَن زياد بن المنذر، عَن سعد بن طريف، عَن الأصبغ بن نباتة قال؛ قال أمــير المــؤمــنين عليه السلام في القَدر: «أَلَا إنَّ القَدَرَ...»..). إلا أنَّ في هذه الرواية زيــادات عديــدة؛ أدرجناها مابين معقوفتين، واختلافات طفيفة؛ أشرنا إليها في الهامش، راجع: التَّوحيد، ص: ٣٨٤ – ٣٨٣، ورواه عنه العلامة المجلسي في بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٩٧، ح:٢٣.

[2] في المصدر: (رفعه) بدلا من: (دفعه).

به[١]، بحَقِيْقَة [الْرَّبَانيَّة، وَلَا بقُدْرَة] الصَّمَدَانيَّة، [وَلَا بعَظَمَة النَّورَانيَّة]، وَلَا بعزَّة الفَرَدَانيَّة[٢]؛ [لأَنَّهُ] بَحْرٌ عَميْقٌ [زَاخرٌ، خَالصٌ لله تَعَالَى، عُمْقُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْض، عَرْضُهُ مَا بَيْنَ المَشْرق وَالمَغْرب، أَسْوَدٌ] مُظْلمٌ، كَاللَّيْلي الدَّامس، كَثيْرُ الحَيَّات وَالحيْتَان، يَعْلُو مَرَّة وَيَسْفُلُ أُخْرَى، في قَعْرِه شَمْسٌ تُضيْءُ، لَا يَنْبَغي أَنْ يَطَّلعَ عَلَيْهَا؛ إلَّا اللهُ الوَاحدُ الفَرْدُ.

فَمَنْ تَطَلَّعَ عَلَيْهَا فَقَدْ ضَادَّ اللهَ في مُلْكه[٣]، وَنَازَعَهُ في سُلْطَانه، [وَكَشَفَ عَنْ سترِه وَسرِّه]، وَ﴿بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٤] »[٥].

---

[١] في المصدر: (لا ينالونه).

[٢] في المصدر: (ولا بعزة الوحدانية).

[٣] في المصدر: (في حكمه).

[٤] سورة الأنفال، الآية:١٦.

[٥] التَّوحيد، ص: ٣٨٤ - ٣٨٣. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٩٧، ح:٢٣.

تَمْهيدٌ قَبْلَ الشَّرْح

اعْلَمْ: أنَّ لله أمرٌ عَلى قِسْمَين:

[القِسْمُ الأَوَّلُ]: أمرٌ فعلي؛ عَرفْناهُ من قوله تَعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْـئًا أَنْ يَقُـولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[1]، فَبعد تَأويل (أنْ) النَّاصبة المضـارع للمَصـدر؛ يَصيرُ المعنَى هَكذا: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ أن يُحْدِثَ شَيْئًا؛ هُوَ قَوْلُهُ كُنْ).

وَكُنْ: فعْل أمرٍ، ضَميرُ الفَاعل، وهوَ ضمير المخاطب؛ يعني: (أنت) مستتر فيه، وهو فاعل فعل الفاعل، كـ(أنت) في: (إضربْ)، فإنَّ فاعل فعـل الفَاعل، وهوَ الضَّرب، وهوَ المخَاطب، فالإحدَاث منَ الفاعل (لله)، والقَبول والانوجاد من المفعول والعبد بالله، وهذا سرُّ الأمر بَين الأمرين.

ويَـدلُّ عَلى أنَّ القـبُول إنَّـما هـوَ من العَـبد؛ قول الله ﷻ: ﴿**فَيَكُونُ**﴾[2]، لأنَّ الضَّمير في (يَكُوْن)؛ لاشك أنَّه يَرجع إلى المُخَاطب.

و**[القِسْـمُ الـثَّاني]** أمرٌ مَفعُولي؛ قَوله تَعـالى: ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًـا**﴾[3]، ثمَّ لَمَّا أخبَـرنا تَعالى في قَوله ﷻ: ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا**﴾[4]؛ عَلمنا أنَّ مَن أَمْرِ الله مَا هوَ قَدَرٌ يُسمَّى بالأمر القَدَري، ومنه ما هُو مَقدورٌ ويُسمَّى بالأمر المقدُوري، وهذان التَّعبيران؛ تَعبيران آخران من الأمر الفعلي وَالمفعُولي.

---

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٢) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٤) سورة الأحزاب: الآية: ٣٨.

شَرْحُ حَدِيْثِ القَدَرِ

فَـإِذَا عَرَفْـتَ هَـذَا فَاعْلَم؛ أنَّ المُرَاد من قَوله ﷺ: **«إِنَّ سِرَّ القَدَرِ..الخ»**؛ هوَ الأمرُ الفعلي، وَهو النُّور الوَحدَاني البَسيط، السَّاري في هَـياكل الموجُـودات وَقوابلها، فَظُهورُ هَذا النُّور في كلِّ قابليَّته؛ إنما هوَ بحسَـب تلك القَابليَّات، فَإن كَانت مُستقيمَة؛ يَظهر النُّور مُستَقيماً، وإنْ كانـت معوَجـة؛ يَظهـر النُّور معوَجّاً. مثل الشَّمس المشرقة في المَرايا المختَلفة.

ثمَّ هَـذا النُّور، إذا تخصَّص بتَعلقها بالقوابل؛ يَتحقَّق الشَّيء، فظهُور النُّور بالقابليَّة، ووُجود القابليَّة منَ النُّور، فَلولا القابليَّة مَا ظهرَ النُّور، وَلـولا النُّور ما وُجدَت القَابليَّة، فَالقابلية وَإن كانت بمَنـزلة الإله للنُّور، بل هيَ الإله لَه حَقيقةً، لكنه تابعة لَه بها من حَيث الاستقامة والإعوجَاج، كما بَيَّنا في التَّمثيل بالمرَايا المختَلفة.

فَـإذا تحقَّـق الشَّيء المركَّب من النُّور والقابليَّة؛ فيتَعلق هَذا النُّور بقَوابـل صِـفات هَذا الشَّيء، وَهياكل أفعاله، وَيتخصَّص باعتبار تلك القَوابـل، فيَحصَل لَه صفَاتٌ وأفعَالٌ إلى مَا شَاء الله، فإنْ كَانت قَوابلها وَهياكـلها مُسـتقيمَة موافقة لمُراد الله تَعالى مِثل صوَر الطَّاعات، فيَصير النُّور المتَعلق لَها نُوراً وأصفَى، فكلَّما زَادت القابليَّة في الاستقامة والقُرب إلى الصُّور الحقَّة؛ زَاد ذَلك النُّور صَفاءاً وَبَهاءاً.

وَإن لَـــم يكـــن مُســـتَقيماً -بأن كَانت مخالفةً لمراد الله؛ كصُور المعاصي- يَصير ذَلك النُّور ظلمة وَينكدرُ، فكلَّما زَادت القابلية اعوجَاجاً وبُعداً عن الحقِّ؛ زَاد هَذا النُّور ظلمةً وكدُورةً.

وهَذا النُّور المتعلِّق بالذَّوات والصِّفات، في جَميع مَراتبها؛ هوَ القدَر الَّذي أشَار إليه بقَوله: «**أَنَّ القَدَرَ سرٌّ منْ سرِّ الله**».

أَي: حجَابٌ من حجَاب الله. يَعني: هَذا النُّور هوَ سترٌ.

وَقوله عليه السلام: «**وَسِتْرٌ منْ سِتْرِ الله**».

أَي: حجَـــابٌ مـــن حجَاب الله. **أَي**: وَاسطةٌ بَينه وَبين خَلقه، **لا** يُمكـــن الوصُـــول إليه إلَّا بهذَا الحجَاب، كمَا أنَّ الإمَام عليه السلام في الظَّاهر حجَابٌ وبابُ الله، لا يمكن الوُصول إلى جَنابه إلَّا منهُ، كذلك هَذا النُّور في جَميع مَراتبه بالنِّسبة إلى كلِّ أحدٍ حجَابُ الله وَباب لَه.

وَقوله عليه السلام: «**حِرْزٌ منْ حِرْزِ الله**».

يَعْني: أنَّه تَعالى احتجَب به، وأخذَه حِرْزاً.

وَأنَّه «**مَخْزُوْنٌ**».

يَعْني: مَستورٌ، **أَي**: سَتر علمَه عَن عبَاده.

وَقوله عليه السلام: «**أَمْرٌ منْ أَمْرِ الله**».

أي: منْ أمْر الله المفعُولي، كمَا عَرفت.

وَقوله: «**مَخْتُوْمٌ بِخَاتَمِ الله**».

لَا يَكون مَعرفتُه لأحدٍ؛ لأنَّه مختُومٌ بخَاتم الله.

وَقوله عليه السلام: «**مَوْضُوْعٌ مِنَ العِبَادِ عِلْمُهُ**».

أي: لَا يُمكن لهُم مَعرفتُه وَإدرَاكه.

وَقوله عليه السلام: «**بَحْرٌ عَمِيْقٌ مُظْلِمٌ؛ كَاللَّيْلِ الدَّامِسِ**».

أمَّا كونُه بَحراً عَميقاً؛ قد علمنَاه سَابقاً، فَإنَّ هَذا النُّور بحرٌ؛ بحَيث لو سَال منه أوديَة الهياكل إلى مَا لا نهاية لَه، فلا يَنتهي عُمقه[1].

أمَّا كونُه مُظلماً؛ فلأنَّه يَتحصَّص القَوابل والهياكل، فَيتكثَّر، والكثرة سَوداء مُظلمة.

---

[1] في تعداده لأنواع البحار وأوصافها ذكر السَّيد المصنِّف (قدِّس سرُّه) في شرحه على الخطبة الطتنجيَّة في قوله عليه السلام: «**خَلَقَ البِحَارَ**»، بحرَ القدر، وقال عنه (قدِّس سرُّه): (وهذا البحر مادَّته نهر يجري من تحت جبال الأزل إلى ما لا نهاية لَه، ولا يسبح في هذا البحر بالأصالة أحد إلَّا محمد وأهل بيته الطَّيِّبون (صلوات الله عليهم أجمعين)، وليس معنى سباحتهم إحاطتهم: ﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾[سورة البقرة، الآية:٢٥٥]، بل لزيادة التَّحيّر في عظمة الله سبحانه؛ لشدَّة فوران هذا البحر وغليانه فافهم.

وهذا هو اللجج الغامرة؛ الَّتي لا يسبح ولا يسير فيها إلَّا السُّفن الغامرة، قال عليه السلام: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، الفُلكِ الجَارِيَةِ فِي اللُّجَجِ الغَامِرَةِ، يَأمَنُ مَنْ رَكِبَهَا، وَيَغْرَقُ مَنْ تَرَكَهَا**»[إقبال الأعمال، ص: ٦٨٧. البلد الأمين، ص: ١٨٦. جمال الأسبوع، ص: ٤٠٥. فَلاح السائل، ص: ١٤٢. المصباح؛ للكفعمي، ص: ٥٤٤. مصباح المتهجد، ص: ٤٥]...) راجع شرح الخطبة الطتنجيَّة، ج:١، ص:٢٧٤-٢٧٥، (الطبعة الجديدة).

قوله عليه السلام: **«كَثِيْرَةُ الحَيَّاتِ وَالحيْتَان»**.

وَالمُـرَادُ مِنْهَا: الأفراد المتَحصِّصة من ذَلك البَحر، ويَسبحُون فيه. وإنما عبَّر عَن هَذه الأفرَاد بالحيَّة؛ لأنَّ الحيَّة مُشتقٌّ منَ الحياة، وَلا يمُوت إلَّا بعَارضٍ[1].

وَقوله عليه السلام: **«يَعْلُو مَرَّةً، وَيَسْفُلُ أُخْرَى»**.

فَإنَّه إذا حَسُنت صُورته، واستَقامت هَياكله، يميل إلى الحقِّ؛ فيَعلو. وَإذا قبحَت صُورتُه، واعوَجَّت قوَابله؛ يمِيْل إلى البَاطل؛ فينكس وَيسفُل.

وَقوله عليه السلام: **«فِي قَعْرِهِ شَمْسٌ تُضِيْءُ»**.

وَهوَ النُّور المَذكُور.

وَقوله عليه السلام: **«لَا يَطَّلِع عَلَيْهَا»**.

فَلابدَّ أن يَراها بعَين الله، ويَنظر إليهَا بنَظره.

قَوله عليه السلام: **«فَمَنْ تَطَلَّعَ إِلَيْهَا»**.

أَي: من دُون أنْ يكوْن لَه عَـين الله، وَمنْ دُون أن يَنظر بنَـظره، **«فَقَـد ضَادَّ اللهَ فِي مُلْكه، وَنَازَعَهُ فِي سُلْطَانه»**؛ لأنَّه حينَئذ يُريد أن يَطلـع عَلـيها من دُون الله، حَيث يَرى نفسَه شَيئاً، وَإنْ هَذا إلَّا نِزَاعٌ في سُلطان الله، وَمضادَّة في مُلكه.

---

[1] قـال الأزهـري: اشتقاقُ الحَيَّة من الحَياة، ويُقال للرجل إذا طال عُمْره، وللمرأة إذا طال عمرها: ما هُو إلّا حَيَّةٌ، وما هي إلّا حَيّةٌ؛ وذلك لطول عمر الحَيّة، كأنَّه سُمِّي حَيَّةً لطول حياته. (لسان العرب).

وَقولُــه: «﴿بَــاءَ بِغَضَــبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَــأْوَاهُ جَهَــنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِــيرُ﴾[1]»؛حَيث نَازعَ الله، وعَانده في مُلكه وَسُلطانه، وَأراد هَتك سِرِّه[2].

---

[1] سورة الأنفال، الآية:١٦.

[2] لــزيادة الإيضــاح ننقل ما بينه السَّيد المصنِّف في بعض مؤلَّفاته عن بعض مقــاطع هــذا الحديث، قال (قدِّس سره): (بيان قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**بَحْرٌ عَمِيْقٌ مُظْلِمٌ؛ كَاللَّيْلِ الدَّامِسِ**»، مراده -في نظرنا هذا- هو بحر الإمكان الجائز؛ لأنَّــه عــالم التكثر والاختلاف، المستلزمين للظلمة والسواد، وشدة الظلمة كثرة الروابط والقرانات، والأوضاع والإضافات.

«**يَعْلُو مَرَّة**»: بالنظر إلى وجه مبدئه، والاستشراق بنوره.

«**وَيَسْفُلُ أُخْرَى**»: بالنظر إلى نفسه وحدود إنيته.

«**فِــي قَعْــرِهِ شَمْسٌ تُضِيْءُ**»: هذه الشمس هي الوجود والفؤاد؛ الذي هو حقيقة الأثر، ومبدأ الجنان، وحقيقة الإنسان.

«**لَــا يَنْبَغِي أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا؛ إِلَّا اللهُ الوَاحِدُ الفَرْدُ**»: لأنه عين الله ووجه الله، فــلا يعــرف بها إلا الله، ولا يعرفها إلا الله بظهوره؛ لأنه صرف ظهوره، فإذا لاحظــت معه شيئاً غيره فكان محدوداً، فلو عرفت الله به لجعلته محدوداً، ولذا قال أمــير المؤمنين عليه السلام: «**لَوْ عَرفتُ اللهَ بِمُحَمَّدٍ لَكَفَرْتُ؛ لِأَنَّ اللهَ لَا يُعْرَفُ بِغَيْرِهِ**» [قريــب منه ما في التوحيد، ص:٢٨٨]، فعند معرفة الله يجب سلب كل ما عداه، وكــل ما سواه، فإذا رفع كل ما عداه لم يبقى إلا نور الله وظهوره، وهو الناظر والمنظور؛ لأنَّه الطرف، وقال الشَّاعر:

إِذَا رَامَ عَاشِــقُهَا نَظْــرَةً ... فَلَمْ يَسْتَطِعْهَا فَمِنْ لُطْفِهَا

أَعَارَتْهُ طَــرْفاً رَآهَــا بِهِ ... فَكَانَ البَصِيْرُ بِهَــا طَرْفَهَا

فافهم.

←...

مِسْكُ الخِتَامِ

الحَمدُ لله؛ الَّذي جَميعُ المُمكنَات كَالذَّرة في شَمس عَظمته، وَجميع الموجُـــودات كالنُّقطة الموهُومَة في يَد قُدرته، وَجَميعُ المخلوُقات كَالحبَاب في رَحمته.

وَالصَّـــلاة عَـــلى محمَّدٍ؛ وهُو محمَّدٌ في جَميع خِصَاله وَفعاله، وعَلى عَليٍّ؛ وَهوَ عليٌّ في جَميع أوصَافه وَأفعَاله، وَعلى الأئمَّة؛ وَهم أئمَّة الأمَم، وَالبُدور اللَّامعة في لَيالي الظُّلم، والشُّموسُ الطَّالعة في سَماء المجد وَالعظَم، وَالـــنُّجوْم السَّـــاطعة في فَلك العزِّ والفخَم، وسَادات أهل الجُود وَالكرَم،

←...

«فَمَنْ تَطَلَّعَ عَلَيْـــهَ»: مع ملاحظة الحدود، وعدم رفع القيود.

«فَقَد ضَادَّ اللهَ في مُلْكه، وَنَازَعَهُ في سُلْطَانه، وَ﴿بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[سورة الأنفال، الآية:١٦]»؛ لأنَّه نظر إلى الله في الإمكان، وعـــرفه بالقيود والحدود، والتَّشبيه والصفات الإمكانية، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً...

ولهـــذا الحديث الشَّريف معانٍ أخر في مقام العلم وسر القدر؛ الذي يشير إليه صـــريح لفظه المبارك...فأثبت (عليه الصَّلاة والسَّلام) في هذا الكلام الموجز جميع عـــلم المباديء، والعلل والذوات المستقلة الإلهية، والكينونات الرحمانية، والمقامات النورية، وجهات الفاعل، وظهورات آثاره، فافهم فهَّمك الله). راجع شرح الخطبة الطتنجية، ج:٢، من ص:٣٦٠ -إلى- ص:٣٦٢. (الطبعة الجديدة).

وَقاداتُ أهل التُّقى والهمَم، الَّذين بِهم كَمُلَ الدِّين، وَتمَّت النِّعم، وَبهم قُدِّر القَضاء، وَجرى القَلم.

واللَّعـــن عَلى أعدَائهم؛ وَهم أعْداء الرَّحمن، الَّذين بِهم خَلق النَّار، واشـــتَد الغَضـــبان، واســـتقيم الجَـــور والعدْوان، وجَرت سَفينة الظُّلم والكُفْـــران، في لُجَـــج الضَّـــلالة والطُّغـــيان، وضَلَّ النَّاس في تَيه الغَفلة والخُـــذلان، وأجْـــروا عَلى الله الذَّنبَ والعصيَان، ورَجعوا من الحقِّ إلى الـــبُطلان، ومـــنَ الجنَّة إلى النِّيران، عَليهم كَلمة العَذاب، وأنَّهم ﴿**حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[1].

تمَّ شَرح الحَديث الشَّريف اللَّطيف المَنيف، في يَوم الثلاثاء، من عشرين الثالث، من شَهر رَمضان.

---

[1] سورة المجادلة، الآية:١٩.